هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح ابليس لعنه الله
بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لا يعرف هذا كله وامورا
اخر وراء هذا تستغرق الاعمار دون استقصاء مباديها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفها
كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان **قلت** فقد رجع
حاصل الكلام الى ان لله تعالى حكمة في كل شيء وانه جعل بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة
وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعالهم مانعا من تمام الحكمة وكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت
الحكمة الى غايتها فهو شكر وكلما خالفت ومنعت الاسباب من ان تنساق الى الغاية المراد
بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى
ما يدفعها هو ايضا من فعل الله سبحانه فاين العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا اخرى فاعلم
ان تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى
تلويحات بمباديها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير
ويجحدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن ان يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول ان لله
في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة اعلى واجل من ان تلمحها عين
واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن في العالم لها عبارة
لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن ان يمتد طرفهم الى مبادي اشراقها فانخفضت عن
ذروتها ابصارهم كما ينخفض ابصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في
ابصارها فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها الى ان يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين
باللغات عبارة تفهم من مبادي حقائقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة
فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع
ثم الخلق ينقسم في الوجود الى اقسام وخصوص صفات ومصدر انقسامها واختصاصها بخصوص
صفاتها صفة اخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة فهي توهم منها امرا

مجملا

مجملا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة
عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة
من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة
الى الصفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ
غايته عبارة المحبوب واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان
في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية اخرى في النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منهما
امرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم ايضا من خلقه واختراعه
الى من سبقت لهم في المشيئة الازلية ان يستعملهم لاستيفاء حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا
في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في المشيئة الازلية ان يستعملهم لسياقة
حكمته الى غايتها في بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة
المستعملين في تمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفتهم اسباب الحكمة دون غايتها
عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران
واردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال وظهر على من ارتضاه في الازل فعل انساقت
بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر واردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة في
الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح واردى
وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ عن اوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينته
قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال
فهو المثني عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه فانما العبد هدف الثناء من حيث
الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في ازل الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات
بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق

Copyright © King Saud University